إشكالية المعنى في الخطاب العلمي
Problematic meaning in scientific discourse.

جودي عمران [1]

[1]جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)

تاريخ الاستلام : 2019/12/01 ؛ تاريخ المراجعة : 2020/01/23 ؛ تاريخ القبول : 2020/03/31

ملخص:

سيكون حديثنا في هذا البحث عن الأفكار الجديدة التي تميّزت بها الفلسفة التّحليليّة كشوط فاصل بين المفهوم التّقليدي للفلسفة، والذي كان يعتمد على الأشياء (اعتماد الخبرة) وبين المفهوم المعاصر للفكر الذي اعتمد على فهم الكلمات الحاصلة بالأفكار (تحليل اللّغة)، وهو الأمر الذي يجعلنا نقف على ثلاث خصائص جديدة نتناولها بالتّفصيل فيما بعد، ونقصد بالدّرجة الأولى مركزيّة اللّغة، واستخدام منهج التّحليل بنوعيه المنطقي واللّغوي، وكذا الاستناد إلى نظريّة الحسّ المشترك بوصفها جملة من الحقائق التي يقف عليها العلماء.

الكلمات المفتاحيّة: التحليل المنطقي، التحليل اللغوي، المعنى، الرّمز، الحس المشترك، المركزيّة اللغوية.

Abstract:

In this article we will discuss the new ideas that have characterized analytical philosophy as a dividing line between the traditional concept of philosophy, which depends on the things (adoption of experience) and the contemporary concept of thought based on the understanding of words with ideas (language analysis), which makes us stand on three new features we address in detail later, we mean primarily the centrality of language, As well as the theory of common sense as a set facts on which scientists stand.

Key words: Logical analysis, linguistic analysis, meaning, symbol, common sense, linguistic centrality

1- مقدّمة:

يعتبر النّشاط العلمي إجابة للطّبيعة الإنسانيّة حول عدم اكتمال العالم، إذ أنّنا نعيش في عالم يدهشنا ويطرح علينا مشاكل من النّوع الذي يعبّر عن نقص في ما يحيط بنا من ظواهر حسيّة وإرادات تعبّر عمّا يجول من حولنا؛ فعلى ضوء إرادتنا ينبثق العلم، لكن هذه المقاربة تجعلنا نصطدم بالموقف العلمي الذي تبنّته الأطروحة المركزيّة لحلقة فيينّا والقائل أنّ العلم يتأصّل من خلال ملاحظاتنا وبعيدا عن تصوّراتنا المفهوميّة، وأطروحة بوبر التي تقول أنّ اتصالنا بالعالم الخارجي يخلق توقّعات نأمل لها حلولا أعمق من قناعاتنا الذّاتية من خلال نشاط التّخمينات والتّفنيدات، ومن خلال هذه العمليّة يمكن عن الميتافيزيقا أن تحمل نوعا من الديناميكية في إنشاء تصوّراتنا، بحيث تظلّ لموضوعيّة العلم كونها بعيدة عن كلّ ما هو شخصي لتتحدّد في مجموعة من العلاقات الاجتماعية والسياسيّة على حدّ سواء، إضافة إلى كون أنّ العلم يحتاج إلى نظريّة معرفيّة تجعل من الواقع أمرا محوريّا ومحدّدا لكلّ التّفسيرات التي يقدّمها العلم الطّبيعي، وهو الأمر الذي يجعل تفسيرات الخيارات العقلانيّة نسبيّة في النّهاية.

إنّ تحديد المفاهيم وتعريفها هي الخطوة الأولى في الدّراسات النّظريّة، وتزداد أهميّة ذلك حينما تكون المفاهيم المراد تعريفها أساسيّة في أيّ حقل علميّ ولغوي، خاصّة أنّ روح العلم تتخطى حدود صدق النّظريّات إلى محاولة تشييدها على أساس متين، لذا تهدف اللّغة إلى فتح آفاق واسعة أمام النّظرة الإنسانيّة إزاء العلم في مختلف أشكاله، وهو ما أفضى إلى أنسنة الظّاهرة العلميّة وتقليص الهوّة الشّاسعة التي طالما باعدت بين التّخصّصات الطبيعيّة والتخصّصات الإنسانيّة، لكن بقيت المشكلة في طريقة التعبير عنها لغويّا من جهة، وطريقة حصولها باعتبارها مركّبات نسبيّة.

من جهة أخرى استفادت نظريّة المعنى من التطوّرات التي عرفها المنطق الرّمزي خاصّة مع غوتلوب فريجه Gottlob Frege (1848-1925) الذي استعمل الصياغة المنطقيّة ودعى إلى اعتماد لغة خالية من الثّغرات المنطقيّة، الأمر الذي لفت انتباه أقطاب الفلسفة التّحليليّة مثل برتراند راسل B. Russell (1872-1970) وفتجنشتاين Ludwig Wittgenstein (1889-1951) قصد اعتماد مثل تلك اللّغة التي لا تفترض أيّ بديل عن البنى الأساسيّة للفكر.

تنتمي حدود البحث داخل المدارس التّحليليّة إلى معرفة تاريخ الفلسفة المعاصرة بأطروحاتها المختلفة، فمن التصوّرات التي تبنّتها الحلقة (حلقة فيينا) تصوّرها للمعرفة كنظام مغلق يبدأ من المعطى المباشر واعتباره الأساس المباشر الذي تنطلق منه كلّ المعارف، أين يمكن إعادة بناء كلّ المفاهيم من خلال إحالتها إلى بناءات عقليّة استنادا إلى تأمّلات عيانيّة، وهو الأمر ذاته الذي يدعونا إلى الإستغناء عن أفكار بالية وبناء مفاهيم جديدة للعلم من خلال توحيد اللّغة الطبيعيّة في مجال البنية والتّركيب، والأمر المثير والجدير بالإهتمام في مثل هذه الدّراسة يتمثّل في محاولة الوقوف على تاريخيّة ومنطلقات الثّورة الإبستمولوجيّة، وكذا البعد النّقدي الذي دعت إليه العقلانية النّقديّة في ميدان العلم والمعرفة إلى درجة تفوق الإعتراف بالخطأ كعمليّة في تقدّم المعرفة، إلى تقديسه واعتباره ركنا أساسيّا في العلم.

على ضوء كلّ هذا يكون لدراستنا هذه أهميّة مزدوجة: فهي من جهة مقاربة إجماليّة عن الموقف الذي اتّخذته فلسفات المعنى إزاء النّظريّة العلميّة بصفة عامّة، ومن جهة أخرى تعدّ محاولة للكشف عن الجديد الذي جاء به العلم في إطار نظريّة المنهج وما تركه من أثر في العلم المعاصر وما فتحه من آفاق منهجيّة جديدة واستبصارات نظريّة لتفسير المعرفة العلميّة في بنيتها الدّاخلية وتحوّلاتها الثّورية، ونظرًا لكلّ المواقف التي تجسّدت في التّطورات العلميّة في ميدان العلم والإبستمولوجيا، فإنّ المشكلة هنا تتخطى حدود صدق النّظريّات إلى محاولة تشييدها على أساس متين، لذا يهدف المقال إلى فتح آفاق واسعة أمام النّظرة الإنسانيّة إزاء العلم، وهو ما أفضى بفلسفة العلم إلى أنسنة الظّاهرة العلميّة وتقليص الهوّة الشّاسعة التي طالما باعدت بين التّخصّصات الطبيعيّة والتّخصصات الإنسانيّة.

2- أزمة المعنى:

بموجب نّظريّتي التّحقّق (الوضعيّة) والتّفنيد (البوبريّة) المبيّن للعبارات التّركيبيّة المتعلّقة بالعلوم التّجريبيّة، فإنّ هذه العبارات لا تملك معنى إلّا إذا استخدم اللّغويون اختبارات تجريبيّة قابلة للتّحقّق، أو إذا استطاعوا استنباط العبارة انطلاقا من مجموعة من العبارات الأوليّة (عبارات الملاحظة). فالأشياء مجرّد مركّبات ثابتة نسبيّا لصفات أو عناصر أو إحساسات، كما أنّ القوانين الفيزيائيّة تتألّف من أفكار لها علاقة مباشرة بالخبرة والملاحظة، لذا فنحن لا نستطيع معرفة الأشياء في ذاتها وإنّما نعرف فقط الظّواهر المحيطة بنا، أي الأشياء كما تظهر من خلال علاقاتها بالحدس والخبرة، ولقد طرحت هذه النظريّة مشكلتين:[1].

[1] Michael Dummett, **Philosophie de la logique**, (trad. Fabrice Pataut. Paris. Minuit, 1991), pp. 21-23

أوّلا: تفترض طريقة التّحقّق أنّ العبارات التي بحوزتنا إن لم تكن حصيلة اختبار تجريبي مباشر أو صنف محدود من الملاحظات الخالصة تكون خالية من المعنى، هذه النّتيجة ليست مقبولة دائما بالنّسبة لنّظريّات المعنى، لأنّ فكرة المعنى قضيّة معرفيّة متعلّقة بالتّمثّلات اللّفظيّة للمتكلّمين.

لكن إذا كان المعنى هدف الفهم، وإذا قبلنا معيار التحقّق كدعوة مفهوميّة لعبارات تجريبيّة يجب أن ننتهي في الحالتين إلى أنّنا لا نفهم العبارات إلّا إذا استنبطت من عبارات الملاحظة، والحاجة إلى تفادي مثل هذه الخاتمة تفرضها الضّرورة الضيّقة للتّحقّق والتي تستند إلى واقعية العلوم الطّبيعيّة بشكل عام والفيزياء بشكل خاص.

بهذا المعنى ألن تكون كلّ العبارات مفتقرة إلى المعنى؟

يجيب شليك بأنّ الأمر ليس صحيحا لأنّ مجرّد أخذ عبارات الفلسفة، يجعلنا نلاحظ أنّ هذه العبارات ليست دلاليّة بقدر ما هي متعلّقة بالمعاني، وبالمقابل يقترح ريشنباخ تخصيص طريقة محدّدة للكشف عن الحاجة إلى الإثبات بالتّدريج أين يصبح معنى الجملة هو إمكانية إحالتها بإعطائها محتوى علميّا، وهذا من شأنه أيضا أن يأخذ بعين الاعتبار فكرة الإثبات التّدريجي كدرجة للاحتمال، ومنه صعوبة ترجمة درجة الإثبات بوصفه مقدارا وكذا الانتهاء إلى أخذه كمفهوم كمّي Concept quantitatif.

ثانيا: يتعلّق الأمر هنا بفرصة الموازنة بين فكرة أنّ نظريّة المعنى يجب أن تقدّم وصفا منسّقا وبين كونها حصيلة التّطبيق الميداني، بعبارة أخرى وصفا خارجيّا لنشاط الطّبيعة العام والموضوعي، ويحدّد نويراث شأنه شأن كارناب الهدف من وحدة العلوم في سياق نظريّ عام متعلّق أساسا بـــ "المنعطف اللّساني"، حيث كان يعتبره منطلقا جديدا لبناء لغة منطقيّة. هذا وقد جاء كتاب راسل "مبادئ الريّاضيّات" تأييدا لموقف فريجه في اشتقاق الرياضيّات من قضايا ومفاهيم منطقيّة خالصة من جهة، ونقدا من جهة أخرى للّغة العادية من خلال الفصل بين "الصّورة النّحويّة" و"الصّورة المنطقيّة"، إذ أنّ عدم الفصل بينهما يبعث الغموض بشكل عميق في رمزيّة الأشياء ودلالتها، وكذا التصوّر الذي قدّمه فتجنشتاين وهو يتحدّث عن تصوّر الحقيقة المنطقيّة باعتبارها تحصيلا حاصلا يسمح بتحقيق تصوّر موضوعي عن الحقيقة على ضوء ثلاث نظريّات أساسيّة يدور حولها محور الرّسالة: دوال الصّدق، اللّغة رسم للواقع، وكذا تجنّب ما لا يمكن التّعبير عنه ولكن إظهاره فقط[1] وهو ما يسمّيه فتجنشتاين **"Le châteaux de sable "** [(*)].

3- المنعطف اللّساني:

لا يهمّنا من كان له الفضل في إرساء هذا التّحوّل في النّشاط الفلسفي سواء كان فريجه في كتابه "أسس الحساب" 1984 عندما اعتبر أنّ فهم العدد رهن توضيحه في نسق عددي، أو كان فتجشتاين" رسالة منطقيّة فلسفيّة" عندما اعتبر أنّ موضوع الفلسفة هو التوضيح المنطقي للأفكار [2]، المهمّ أنّه أصبح من الممكن أن نتحدّث عن المنعطف اللّغوي في ثنايا الخطاب الفلسفي المعاصر عندما تحوّل التّحليل اللّغوي المنطقي إلى واقع فلسفيّ قائم، أين تمّ حصر الفلسفة في مهمّة التّحليل اللّغوي وبالضّبط تحليل العبارات والألفاظ من حيث بنائها المنطقي العام. وهذه النّظرة الأحادية إزاء مشاكل العالم (وسنرى إذا كان بإمكاننا تسميتها مشاكل الفلسفة) يراد بها تقسيم اللّغة إلى قضايا مركّبة Complexes، وهذه إلى قضايا ذريّة Atomistes أو أوّليّة Elémentaires، ويقابل هذا التّقسيم تقسيم العالم إلى وقائع مركّبة ووقائع ذريّة، وهو ما يسمّى النّظريّة التّصويريّة للّغة والتي تعتبر القضيّة رسما للوجود الخارجي، ومن هنا سنتحدّث عن اللّغة باعتبارها:

---

[1] Von-wright, (**Wittgenstein**, trad. TER: Elisabeth Rigal, 1986), p. 3

* **"قلعة الرّمل"** عبارة يستخدمها فتجنشتاين ليعبّر عن الغرض الأوّل من النّشاط الفلسفي المتمثّل في محاربة ومجابهة كلّ ما ليس علميّا.

[2] Michael Dummett, op. cit, p. 25

➢ خطابا علميّا يتضمّن نوعين من القضايا (تحليليّة وتركيبيّة)، يتمّ خلالها تحليل واختزال اللّغة العلميّة وفق المعطيات التّركيبيّة والدّلاليّة باعتماد التّحليل المنطقي اللّغوي والتّحقيق التّجريبي.

➢ خطابا ميتافيزيقيّا يضمّ عبارات ليس لها معنى مع الإقرار سلفا عدم وجود أيّ إمكانيّة لإخضاعها إلى شروط المنهج الوضعي.

تؤلّف معظم أفكار حلقة فينّا الواجهة الأنموذجيّة لتطوّر الفلسفة التّحليليّة، أو ما يسمّيه رتشارد رورتي Richard Rorty " أكبر ثورة في الفلسفة" [1]، ويقصد روتي بالفلسفة اللّسانيّة، تلك الفلسفة التي ترى أنّ كلّ المشاكل يمكن حلّها أو استبعادها بواسطة اللّغة، أو عن طريق فهم مختلف الأنماط اللّغويّة التي تمارسها المحتويات المعرفيّة التي تكون أكثر من تمثّلات وتصوّرات نفسيّة تحدّدها شروط القيمة الموضوعيّة. تكمن هذه الشّروط عند هيوم في تداعي الأفكار على مستوى الذّهن والمخيّلة Association de l'imagination، وعند كانط Kant في اكتمال الظّواهر على مستوى الحدس **(*)** وتشترك هذه الشّروط جميعا في كونها بدون معنى إلّا من خلال قالب لغوي، وإلى جانب هذا يقرّ رورتي بإمكانيّة اعتبار "الفلسفة التّحليليّة" شكلا من أشكال التّجريبيّة مع جلّ المفكّرين الذّين انضووا تحت تأثيرات هذه المدرسة على تنوّع أعمالهم الفكريّة؛ وتمّ تقديمها من خلال جملة من الأفكار التي حملتها "الوضعيّة المنطقيّة" فيما بعد، ومكّنتها من تأسيس تجريبيّة تعتمد على اللّغة بدلا من التّفسيرات السّيكولوجيّة.ذ

4- التّأسيس الرمزي للعالم:

عمد كارناب في" البناء المنطقي للعالم" (Aufbau) إلى اعتماد لغة رمزيّة (صوريّة)، بالمقابل يرى نويراث أنّ اللّغة كحدث تاريخي لا يمكن دراستها إلّا من خلال عبارات جشطالتيّة Propositions béhavioristes لا تستبعد اللّغة الرّمزيّة كضرورة ملحّة لتحقيق مشروع وحدة العلوم، وهو ما أكّده رورتي R. Rorty عندما رأى أنّ وحدة العلوم هي الانشغال الرّئيسي لـــ Aufbau، وذلك من خلال التّعامل مع الرّموز المؤسّسة للطّابع الاتفاقي للمنطق، الأمر الذي يجعلنا نتعامل مع تعريف البناء عند كارناب كمقدّمة من الرّموز [2] مع إمكانيّة أن يعكس المنطق بنية الواقع، هذا وقد ردّ فريجه الخلل في التّفكير إلى قصر اللّغة التي نستخدمها من جهة، وعدم الاحتكام إلى قوانين المنطق من جهة أخرى.

سعيا نحو الثّبات والدقّة يقترح فريجه مجموعة علامات Signes خالية من الغموض وتحتفظ فيها الصّورة المنطقيّة Forme Logique بالمحتوى المعرفي وهو ما أسماه "أيديوغرافيا"[3]*. وتتصوّر الأيديوغرافيا الحكم كسابق لتكوّن المفهوم، خاصّة وأنّ هذا المبدأ يوضّح جليّا أنّ فريجه لا يتحدّث عن إدراك المفهوم Saisir le concept لكن إمساك الفكر Saisir la pensée، فقد جرى الشّعور بأنّ كلمة إنسان تعبّر عن معنى مادّي (أخ، جار،...)، وأنّ معنى جملة "نجمة المساء" تعبّر عن النّجمة في المساء؛ لذا يفيد إمساك المفهوم كائنات من نوع معيّن، ويعبّر إمساك الفكر عن معنى التّعبير أو الفكرة المعبّر عنها والتي غالبا ما تكون ضمنيّة، ولسيمانطيقا فريجه مستويين[4]:

---

[1] Richard Rorty, **Introduction. Métaphysical difficulties of linguistic philosophy**, in: (R. Rorty, The linguistic turn. Recent Essays in philosophical méthod. Chicago and London: the university of Chicago press, 1967), p. 03

* يتوقّف كلّ رهان لمفهوم الحقيقة على إمكانية الاختزال والاختزال المنطقي لحقائق الريّاضيّات (أو حقائق علم آخر)، وتبقى مشكلة التّحليل والتركيب مطروحة في هذا الشّأن.

[2] A.W.Richardson, **Carnap's construction of the world**, (Combridge: The Aufbou and the emergence of logical empirism : university press. 1998), p. 185.

[3]G.Frege, **La science justifie le retour à une idéographie**, (trad: C. Imbert. écrits logiques et philosophiques . Paris: seuil: 1971), p. 64

* إلى جانب مصطلح أيديوغرافيا يطلق عليها اسم تدوين التصوّرات أو اللّغة الرّمزيّة، وتتألّف من عبارات بسيطة تردّ إلى الحدّ الأدنى الضّروري الذي يجعلها تقبل الاستخدام بسهولة ويسر.

[4]Alain Budiou, **Seconde manifeste pour la philosophie**. (Paris: Librairie Fayard. 2009), p. 49

المعنى	الدّلالة
↓	↓
الفكرة التي تعبّر عنها القضيّة	قيم الصّدق التي تحملها عنها القضيّة.

إلى جانب هذا يشيد نويراث بدور راسل في تقديم تصوّر جديد للعالم، ويرى فيه الشّخص الذي كان ملتزما بتحليل لغة العلم ونظام العلامات، بغية الوقوف على نظام من الرّموز المنطقيّة والرياضيّة، إذ يذهب نويراث إلى نفس معنى فتجنشتاين عندما اعتبر هذا الأخير في "رسالة فلسفيّة-منطقيّة"[1] * ، بأنّ الرّموز الريّاضيّة والقضايا المنطقيّة تحصيلات حاصلة كونها ليست تعبيرات عن أحداث، والعودة إليها تكون من أجل الوقوف على الحقيقة حيث تقول القضيّة 5,43 أنّ جميع قضايا المنطق لا تقول شيئا لأنّها لا يمكن مقارنتها بالواقع وفي هذا إشارة إلى أهمّية التّمييز بين صياغة الفكر وأوجه الفكر المنطقيّة.

هذا لا يعني أنّ المنطق لا يملك أيّ حريّة للإبداع بعيدا عن فقه اللّغة، بل نجد كارناب يبني تصوّره المنطقيّ لبناء العالم من خلال مبدأ الريّاضيّات، فعندما تبدو حدودا للعقل تبدأ القطيعة والتّمييز بين الواقع والوصف الرياضي[2] **، وهذا البناء يبقى بدوره أخرسا في ظلّ النّظام المنطقي للنّظريّة الممتدّة إلى نظام العلاقات Extensionnelle ونظريّة الأوصاف فيما يخصّ عبارة التّحصيل الحاصل التي تحدّث عنها كارناب في الفقرة 107 من الــ Aufbau، أين استعمل الريّاضيّات في السّياق العام للاصطلاحية باعتبارها لا تتألّف إلّا من شروط اتّفاقيّة *.

غير بعيد عن هذا يتحدّث كواين Quine عن البناء باللّجوء إلى مجال المعاني، ثمّ الاستعانة بالتّرادف أو التّعريف[3] خاصّة وأنّ البناء المنطقي يعتمد بشكل وافر على ثنائيّة المعنى/الواقع، فنحن نشكّل صورا لوقائع وهذه الصّور هي بمثابة أفكارنا؛ بحيث يتعلّق معنى تلك الأفكار بوجود أو عدم وجود حالات الأشياء والتي تعتبر بدورها تعبيرا عن الواقع، ممّا يجعل هدف الفكر إذن هو الحدث (النّشاط) وليس الأشياء (أعضاء، عناصر)، لأنّ من شأنه أن يجعل فهمنا يمتدّ إلى ما وراء الواقع المعطى.[4]

---

[1] Luce Fontaine-De visscher, (Wittgenstein, le langage à la racine de la question philosophique. In Revue philosophique de lauvain, 4 série, tome 83, n° 60), pp. 562-563

* يتضمّن Tractatus علاقة اللّغة بالعالم وإمكانية التّعبير عنه باعتبار:
العالم مجموعة من حالات الأشياء.
الفكر صورة العالم، والفكر باعتباره وظيفة صدق لمجموع القضايا الأوليّة.
العالم واللّغة (ما يمكننا الحديث عنه، وما لا يمكننا الحديث عنه).
هذا التصوّر يقودنا إلى حالتين:
حالات الأشياء وما يقابلها من قضايا أوليّة
الوقائع وما يقابلها من قضايا.

** نجد هذه الأطروحة عند بوهر في ترجمته لميكانيكا الكوانتوم، أين يضع بصفة تقنيّة نظام المفارقات، وقد أدخل فكرة المراسلات والتّكامل كونها تمتلك علاقة مباشرة مع المطالب الجوهريّة لفيزياء الكوانطم.

[2] Catherine Chevalley, « **introduction** », (Niel Bohr, physique atomique et connaissance humaine. Paris: Gallimard, 1991), p. 102.

* المذهب الاصطلاحي الذي يتبنّاه كارناب وهو يتحدّث عن موضوعية المعرفة التّجريبيّة ينطلق من قاعدة أساسيّة تهدف إلى صورنة وتجريد كلّ مفاهيم العلوم من كلّ غطاء مادّي.

[3] S. Laugier, **Introduction**, S. Laugier. (Paris: Vrin: Carnap et la construction logique du monde. 2001), p. 09

[4] Brian Mc Guinness, **Wittgenstein et le cercle de vienne**, (d'après les mots de Friedrich Waisman. édition : T.E.R (Trans-Europ-Repress): Traduit par Gérard Granel **,** 1991), p. 217

والقسم الأكبر من كتاب "عقيدتي التّحليليّة" لـــ "كواين" مخصّص للحديث عن الثّنائيات الضديّة مثل (التّركيبي/التّحليلي)، والإختزاليّة أو ما يسمّى بالردّ الفيزيائي Physicalisme، ويجعل كواين هذه الثنائيّات تابعة لنظريّة تحقّق المعنى؛ فإذا كان معنى العبارة متعلّقا بطريقة تحقّقها فسيكون هناك نوعا من التّرادف بين عبارتين قابلتين للتحقّق وبنفس طريقة التحقّق.

5- الوصف اللفظي للواقع:

بقي أن نبحث عن العلاقة التي تحكم العبارة مع الخبرة المتوقّع إثباتها أو نفيها، بحيث تعتبر هذه العلاقة وصفا مباشرا للواقع، والعقيدة الأخرى للتجريبيّة تكمن في اختزاليّة القوانين العلميّة وشروط الخبرة الفيزيائية، لكن هدا الإختزال قد فشل على الصّعيد المفهومي – عدم إمكانية تحديد القوانين العلميّة من خلال لفظة منطقيّة أو ملاحظة أو حتّى من خلال خطّة نسقيّة- وفيما يخصّ هذا الإخفاق لمبدأ الإختزاليّة (وهو مبدأ يردّ كلّ شيء إلى الفيزياء) نشير أنّه لا يوجد هناك أيّ إمكانيّة للتحقّق أو تكذيب عبارات معزولة، فمثلا إذا اعتبرنا العبارة التّالية:

"كلّ وفقط كلّ العازبين غير المتزوّجين" قضيّة تحليليّة؛ سنلاحظ أنّ ما ينقص في هذه العبارة هو التّرادف المعرفي وليس نقصا في الاستدلال المنطقي، ثمّ إنّ القول بإمكانية التّبادل الحافظ للصّدق في حالة التّرادف الإدراكي يجعلنا نستعين بالمثال الاتي[1]:

"من الضّروري أنّ كلّ وفقط كلّ العازبين عزّاب" قضيّة صادقة، حيث أنّ إمكانية التّبادل تبادلا حقيقيّا خالصا يتوقّف على قوّة اللّغة، كما أنّ إمكانية هذا التّبادل يظلّ بلا معنى ما لم ينسب إلى لغة يعيّن ما صدقها من كلّ النّواحي[2]. ، ولكن ألسنا بهذا المعنى أمام التحدّي الذي رفعه فتجنشتاين بقوله:" تعتبر الفلسفة المعاصرة مقاومة للطّريقة التي تزيّن بها اللّغة أفكارنا"[3]؟ ثمّ إنّه من الواضح أنّ فكرة الماصدق فكرة غامضة في الأساس، ومع ذلك نستطيع تشبيهها بمجموعة الأشياء المتماثلة والتي تندرج ضمن المفهوم المراد تحديده، وهذا في مقابل ما يراه راسل:" تمتلك كلّ قضيّة كيانا يجعلها تتميّز عن مجموع مكوّناتها"[4]. ثمّ أنّ مبدأ التّناص ليس الطّريق الوحيد لتحديد مفهوم العدد الأوّلي مثلا، لأنّه سيشترك مع المساواة الرقميّة وحتّى الهويّة؛ هذا المبدأ الذي أعلنه هيوم والذي يتضمّن أيضا أنّ العدد« f » يكون مطابقا للعدد « g » عندما تكون كلّ العناصر التي تنتمي إلى المجموعة « F » تطابق عناصر المجموعة « G »، ويعني أيضا أنّ كلّ عناصر المجموعة « F » مساوية للعناصر التي تنتمي إلى المجموعة « G »، ومن هنا فإنّ « g » ستكون الإمتداد الرّقمي للتصوّر« f ».

مثل هذا التصوّر يجعلنا نقول أنّ الكلمات ليس لها معنى إلّا ضمن قضيّة، وذلك من خلال تحديد معناها بمراعاة موضوعيّة التمثّلات في ذاتها وكذا استنباطها بإتقان على ضوء موضوعيّة القضيّة، بالمقابل نجد عند كلّ من بولزانو Bolzano وراسل – خلافا لفريجه- أنّ كلّ التمثّلات في ذاتها هي كيانات مستقلّة، ووحدها التّعريفات تبقى تابعة لتعريف القضيّة[5] ، في حين أنّ عقيدتي التّركيبي/التّحليلي والإختزال تسقطان معا عندما يتعلّق الأمر بمقتضيات الخبرة، الأمر الذي يجعلنا نسأل عن ما إذا كانت قضيّة البحث الفلسفي تهتمّ بمعارفنا إزاء العالم، أم أنّها قضية سيميائيّة تهتمّ بمعاني الكلمات؟

---

[1] Quine, **From a logical point of view** .(Harvard: university press, 1980), pp. 95-99

[2] كواين، ترجمة حيدر حاج اسماعيل.. **تسع مقالات منطقيّة فلسفيّة من وجهة نظر منطقيّــة**، (ط1؛ بيروت: المنظّمة العربيّــة للتّرجمــة. 2006) ص 90، 92.

[3] Wittgenstein, **investigation philosophique**. (Blackwell: oxford. 1958), p. 109

[4] Russell, **Ecris de logique philosophique**. trad : J. M. Roy, (Paris: PUF. 1989), p. 52

[5] Xavier sabatier, **Les formes du réalisme mathématique**. (Paris: J. Vrin. 2009), pp. 82-83.

البحث عن إجابة لهذا السّؤال كان هدف كواين، من أجل التّمييز بين المعارف المتعلّقة بالأشياء وتلك المتعلّقة بالمعاني أو بين محتويات تجريبيّة وأخرى لغوية، ومن ثمّ اقتراح موقفين هما:

الإسميّة الوصفيّة أو المثاليّة التي تلحّ على الحاجات الدّاخليّة أو الذّاتيّة للبساطة والانسجام والواقعيّة الاستنباطية التي من شأنها أن تحيل البساطة المنطقيّة إلى واقع خارجي ملائم.

وقد رأى كواين أنّ فكرة البساطة أمر ضروري للحفاظ على المنطق من تداعيات الصّعوبات والمعضلات التي اقترحتها الميكانيكا الكوانتيّة باسم الإحتراز من الوقوع في الخطأ، لذا يستعين كواين بموقف هايزنبرغ في الارتياب فيما يتعلّق بالعالم الأصغر ويعارض رايشنباخ في المبادرة بإنشاء منطق جديد من أجل مطابقة النّظريّة الكوانتيّة والوصف الموضوعي لتداخل الظّواهر فيما بينها، وهو الأمر الذي اضطرّ كواين إلى معارضة ثنائيّة التّحليل/التّركيب*:" يتضمّن اقتراحي بأنّه من اللّغو ومن اللّامعنى القول بوجود مكوّن لساني وواقعي في صدق أيّ عبارة مفردة"[1]

، وقد كان لهذه النّظريّة مفعول قويّ على مبدأ امتناع اليقين وقبول تمديد قابليّة المراجعة إلى أن تشمل القضايا المنطقيّة، وتندرج ضمن هذه المراجعة تحديدات الثّالث المرفوع* على هذا النّحو:

_ كلّ عبارة محصورة تكون إمّا صادقة أو كاذبة.
- كلّ عبارة محصورة إمّا أن تصدق هي أو يصدق نفيه
- كلّ عبارة محصورة إمّا أن تكون صادقة أو غير صادقة

أس (إذا كان ك س فإنّ ل س
أو ~ ل س)
(ب أو~ ب).

بالإضافة إلى كلّ هذا، رفعت حلقة فيينّا في الطّور الثّاني حسب كرافت تحدّيا آخر، حيث أصبحت عبارات البروتوكول énoncés protocolaires علميّة تزوّد المحتوى المعرفي من جهة، وعلى الوضعي المنطقي أن يتفادى الوقوع في الأناوحديّة solipsisme والواقعيّة السّاذجة réalisme naïf مع الإحتفاظ بعامل البساطة أي الإقتصاد في اللّغة، إضافة إلى الخاصيّة التّذاوتيّة intersubjectif من جهة أخرى، بحيث يتوجّب على عبارات البروتوكول أن تكفي معيار العلميّة والمفهوم التّجريبي [2]، فمن وجهة نظر كواين لابدّ لكلّ معرفة أن تكون على صورة المعرفة العلميّة، موضوعيّة ومؤسّسة على أدلّة تجريبيّة** لا يمكن ردّ صدق عباراتها إلى الخبرة الخاصّة.

- المنطق النّمطي (منطق القضايا ومنطق المحمولات) هو الوحيد الذي يمكننا اعتباره امتدادا لمجموع الوقائع الحسيّة ومقبولا من الوجهة العلميّة؛ وحقائق المنطق تعبّر عن حقائق من هذا النّوع.
- إذا لم يطبّق مبدأ الماصدقيّة (أي ما يصدق أو ينطبق عليه ذلك الشّيء أو ذلك التصوّر) فسيكون السّياق غامضا، وإن كانت قاعدة التّعميم الماصدقي متعذّرة التّطبيق، ثمّ إنّ مبدأ الماصدق هو من يضمن مشروعيّة الإستدلالات في

* ترتبط الإحالة لدى النّزعة التّجريبيّة والوضعيّة المنطقيّة بالتّحقّق التّجريبي، أي الرّبط بين العبارات العلميّة لنظريّة ما والتّجربة المباشرة أو المعطى الحسّي، غير أنّ كواين يعتبر المعطى الحسّي مجرّد أسطورة أيضا لأنّ الأمر يتعلّق بالواقع وليس بالأحاسيس، بل المواضيع لا توجد إلّا من خلال اللّغة التي ترد فيها.

[1] Quine, **les deux dogmes de l'empirisme,** Trad: Pierre Jacob, (Paris: Gallimard: in De vienne à Cambridge, 1980), p. 42.

* يردّه كواين إلى اهتمام الريّاضيّين بمراجعة النّفي الكلاسيكي وهم يبحثون عن المماثلة والتّعميم وإلى الفيزياء عندما بيّن هايزنبرغ المبدأ المتناقض لامتناع التحدّد في ميكانيكا الكوانطم؛ فعندما يقاس موقع الجزيء إلى الدّرجة القصوى يمتنع قياس السّرعة بالدقّة نفسها والعكس صحيح.

[2] Kraft, **the vienna circle. The origine of neo-positivism**. (nex york: philosophical library. 1953), p. 119

**عرف المنطق الحملي التّقليدي في النّصف الثّاني من القرن 19، عدّة تطوّرات تمثّلت في ظهور تيّارات جديدة مثل: المنطقانيّة والحدسانيّة والصّورانيّة، هذا إلى جانب تقدّم الهندسة اللّاإقليديّة، وجميع هذه الأحداث تحاول تجاوز إحدى الحالتين: عقلانية كانط وتصوّر القضيّة التّحليليّة باعتبارها لا تنسب إلى موضوعها أكثر ممّا فيه عمليّا.

المنطق، إضافة إلى كونه يتضمّن خصائص مثل الإكتمال والتي من شأنها أن تحدّد فكرة الحقيقة المنطقيّة، بالمقابل مجرّد توسيع مجال هذا الماصدق لا ينبغي أن يفقد المنطق خصائصه الجوهريّة والمؤسّسة، كما لا يستبعد كواين النّظرة البراغماتيّة القائلة بأنّ الحقيقة المنطقيّة ليست ضروريّة إلّا من حيث أنّها مركزيّة وتخفّف من حدّة المغالاة في التّحقيق.

6- التأسيس الميتافيزيقي لفكرة المعنى:

لم يشك بلانك Planck يوما أنّ الواقع مفهوم مؤسّس لكلّ ميتافيزيقا:" الميتافيزيقا تؤسّس الفيزياء"، بالمقابل يعترف بالشّرح الذي قدّمته الوضعيّة المنطقيّة فيما يتعلّق بديناميكيّة المعرفة وتطوّرها من زاوية الإصلاحات التي قدّمتها في شأن مناهج القياس [1] ، لكنّه يختلف معها في القول بأنّ الانطباعات الحسيّة المكوّنة للمقادير هي البداية الأولى لكلّ منطلق علميّ- بالعكس تماما ففي الفيزياء يجب أن تكون المقادير نتائج نهائيّة أشدّ أو أقلّ تعقيدا وتأثيرا بين عالمي الظّواهر الخارجيّة (موضوع المعرفة) والمقادير المكوّنة لمفاهيمنا (الذّات العارفة)- فمشاعرنا القصديّة عاجزة تماما عن إنشاء العالم الفيزيائي فقط لأنّها كيانات محايثة يختفي وراءها عالم الظّواهر والذي لا ينتمي بدوره إلينا، انطلاقا من هذا المعنى يعتبر الواقع مفهوما مؤسّسا للميتافزيقا، وتكون الميتافيزيقا بالتالي مؤسّسة للفيزياء، وأيّ محاولة بغرض الوقوف على المقادير تعني بالدّرجة الأولى محاولة الوقوف على سؤال علمي، وتطبيق سؤال عقلاني على ضوء عدّة تفسيرات ممكنة لمعطيات الملاحظة لابدّ له من نظريّة عقلانيّة[2].

لنحاول تأكيد هذا القول مع مجموعة من الأسئلة التي طرحها "دوهيم" P. Duhem: ما معنى المادّة؟ واضح أنّ طبيعتها ليست متعلّقة بالسّكون أو الثّقل أو درجة حرارتها أو أيّ صفة من هذا القبيل، لكن في امتدادها وعمقها ممّا يعني أنّ المادّة مقدار معيّن؛ ما هي الحركة؟ هي مقدار مضاعف لنّوعيّة المادّة من شأنه أن يحيط كلّ جسم من النّظام بالسّرعة التي تغذّي الجسم؛ وبنفس الطّريقة يفسّر الجاذبيّة والجسم الحار وكذا الضّوء.[3]

ما يريد قوله من خلال عرضه هذا أنّ الفيزياء النّظريّة لا تهتمّ بحقائق الأشياء، بل تكتفي بعرض المظاهر الحسيّة من خلال الرّموز ونظام العلامات، أين يتمّ الاختيار باستخدام البناء المعرفي العام، تماما كما عبّر عنها هوسرل:" هنا زجاجة الخمر هي هكذا وكذلك (j'en fais des objets) أجد تسلسل تمظهراتها وأجد وعي الهويّة الذي يجتازها، أجد أنّني أعبّر عنها بالكلمات: زجاجة الخمر تظهر دائما بنفس الطريقة وعلى ذات المنوال"[4] ، والواقع أنّ إدماج الملاحظ البشري في العالم الفيزيائي هو من أهمّ السّمات المميّزة للفلسفة التجريبيّة، وفي نفس السّياق يتساءل بلانك: كيف يمكننا أن نترجم حالة الواقعة أو الظّاهرة التي لا تقبل تفسير الظواهر الطبيعيّة على مستوى العالم الأصغر (عالم الذرّات والجزيئات والجسيمات الأوليّة) انطلاقا من العالم الأكبر الذي تقبل ظواهره حالات العكس، خاصّة وأنّ تحدّد الموضوعات غير القابلة للملاحظة لا وجود لها إلّا بالنّسبة إلى الانتقال من العالم الأكبر إلى العالم الأصغر؟ يجيب بلانك بأنّ الأمر يتعلّق بنوع من التّفاعل interaction بين المادّة والإشعاع على ضوء علاقة سببيّة، لكن ما الذي يثبت هذا التّتابع؟ هل يمكننا الاستناد إلى واقع لا يقبل الخطأ من شأنه أن يجعلنا نتأكّد من أنّ "ب" هو نتيجة ضرورية لـــ "أ"[5]؟

أيّ محاولة للإجابة على هذه الإشكاليّة يجعل بلانك يقول بالتّفسير الميكانيكي بدل التّفسير الإحصائي، والذي يعتبر وجها آخر للميتافيزيقا، وما يمكننا الإشارة إليه هو أنّ مشاكل عويصة أثيرت لم يتم التّوقّف عن إيجاد حلّ لها ونقصد

[1] Max Blanc, **initiation à la physique**. (Paris: Flammarion. 1941), p. 217
[2] Ibid, p. 458
[3] Pierre Duhem, **La théorie physique, son objet et sa structure**. (Paris, Vrin. 2007), p. 93
[4] Edmund Husserl, **sur la phénoménologie de la conscience intime du temps.** trad : Jean-François Pestureau. (France: Jérôme million: 2003), p. 138
[5] Max Blanc, **initiation à la physique**. (Paris: Flammarion Planck, s d), p. 163.

غموض كلّ من الجسم الأسود والجزيئات من جهة، والبعد النّظري لفكرة الأثير من جهة أخرى، كما أنّ مبدأ التّراكب هو الذي هدّم مبدأي الهويّة وعدم التّناقض، والذي زعزع المنطق الذي استخدمه الفيزيائيّون، من هنا لم يعد بالإمكان الحديث عن الأجسام الماديّة في ذاتها؛ باعتبار أنّ الجسيمات الماديّة في نشاطها تأخذ صفة أمواج، هذا وقد شغل تفسير آخر لهذه الظّاهرة على ضوء تفسير كونهاجن وهو تناهي الموجة إلى نقطة معيّنة في المكان تحت معطى الانهيار. وكذا تفسير لويس دي بوغلي Louis de Broglie القائل بأنّ المادّة في حركتها توجّهها موجة قائدة تحمل فيما بعد خواص الحركة الموجيّة القائدة (الإدماج)، أين يوجد مجموع خصائص الذرّات والفوتونات وكلّ نظام كمّي يعبّر عن حالته، وفي حالة النّظام الذي يتوفّر على حالات كثيرة فإنّ إمكانية العودة إلى حالة واحدة واردة.

يوجد النّظام إذن في انطباق الحالات superposition des états، والمعارف المتعلّقة بهذه الحالات ستكون بدورها متناقضة فيما بينها، يقول بلانك" من الأهمّية بمكان أن نشير إلى أنّ العالم الخارجي شيء مستقلّ للإنسان، نوع من المطلق، والبحث عن القوانين التي تحكم هذا المطلق تعبّر عن أنبل الانشغالات العلميّة التي يمكن أن نحياها"[1].

7- العقلانيّة النّقديّة وتجاوز إشكاليّة المعنى:

تظهر إشكالية الفرق بين عبارات العلم (التّجربة) وعبارات الميتافيزيقا (الفلسفة) في الدّرجة التي تفصل بين الملاحظة المباشرة وطريقة التّعبير عنها باسنعمال رموز اللّغة، لذا ينتقد بوبر كارناب في نقاط مهمّة هي التّمييز بين العلم واللّاعلم (موقع الميتافيزيقا)، و"العبارات الكلّية" و"المعنى والضّرورة"، وهى مشكلات تتعلّق بكيفيّة تنظيم أفكارنا عن المعنى والإشارة بطريقة تمكّننا من الإستفادة من المنطق الكمّي والحفاظ على حدوسنا عن منطق الجهة، وبصفة عامة تقديم صورة واضحة ومرضية حدسياً تتشكل من مفاهيم "الحقيقة" و"المعنى"، و"الضّرورة" و"الإسم". فإذا كان مشروع كارناب هو تأسيس العلم على قاعدة لغويّة موحّدة، فإنّ مشروع بوبر هو تحليل الطريقة والإجراء الخاصّ للعلم التّجريبي، حيث تمّ إدراج الميتافيزيقا ومعيار التّمييز كمركزي البحث في مشروعه الإبستمولوجي، أين ينطلق من القول بأنّ العبارات الكليّة لا يمكن التّحقّق منها على ضوء القرار الذي يفيد أنّنا لا نستطيع أن نعزى للعبارات العامّة المتعلّقة بالواقع سوى قيم الحقيقة السلبيّة[2] ، إذ يتناول بوبر بالنّقد في كتابه" المشكلتين الأساسيتين في نظريّة المعرفة" (1931،1932) هذا النّوع من التّرجمة الآلية للقوانين العامّة عند كلّ من فتجنشتاين و"شليك" و"فايزمان"، حيث يرى لا يوجد أيّ مبرّر لعدم تمديد محتوى نظريّة مقيّدة المعنى، في الوقت الذي تحال هذه المهمّة إلى ما يمكن أن نتحقّق منه بأنفسنا، من خلال عدد محدود من حالات الملاحظة. هذا يعني أنّ القوانين الكليّة غير ممكنة التّحقق والخالية من المعنى يجب أن تؤخذ كقاعدة بسيطة للإحالة أين تسمح بتوليد تنبّؤات فرديّة ممكنة التحقّق، هذه النّتيجة في نظر بوبر كارثيّة لأنّها تنافي بداهة العقل للمتمرّسين في الحقل العلمي.

بصفة عامّة، يرفض بوبر" المنعطف اللّغوي والمعادي للميتافيزيقا" رفضا قاطعا؛ حيث يبدأ برفض تقسيم العمل على طريقة شليك: مهمّة العلم هي البحث عن الحقيقة، ومهمّة الفلسفة هي اقتفاء المعنى، وهو ما يعبّر عن نوع من الفلسفة المدرسيّة. ولقد رأينا فيما سبق أنّ كواين لا يقول بوجود فرق بين العلم والفلسفة إلى درجة أنّه كان يقظا من لفظة "المعنى" و"المذهب الطّبيعي" أين تتمظهر بعض العبارات الخالية من المعنى في ذاتها، كما يحكم بصرامة على موقف فتجنشتاين – يمكن ذكر كارناب وموقف نويراث ضدّ شليك في هذا الصّدد- الذي يتميّز بخاصيّة الجزم فيما يتعلّق بنتائج التّحليل المنطقي لمزاعم المشكلات الفلسفيّة، كما رفض في نفس الوقت اختزال المشاكل الفلسفيّة إلى قضايا اللّغة أو قضايا خالية من المعنى، وعندما يدافع صاحب "النّظريّة العامّة للمعرفة" (شليك) عن تصوّره بعزم وثقة عن تصوّره العلمي للفلسفة، فإنّنا نجد أنّ بوبر يجيبه:" الذي لا يستطيع أن يتّبعه (يقصد شليك) لا يملك لنفسه إلّا حلّا واحدا هو أن يجادل هذه الأشباه القضايا الضّاربة

[1] Ibid, p. 67

[2]Karl Popper, **Les deux problèmes fondamentaux de la théorie de la connaissance**, (Paris: Hermann. 1999), p 28.

في القدم بمجموعة من الحجج التي لا يمكننا التّغاضي عنها والتي لسنا بحاجة إلى سماعها أصلا، كمن يحاول أن يشنّ هجوما على خصمه وهو لا يستطيع الإنسحاب من الضّجر لكنّه مضطرّ أن يعود ويجابهه"[1] ويقصد بوبر من هذا القول أنّ المؤيّد الجذري لمبدأ التحقّق مثل شليك ليس له إلّا أن يعتبر الميتافيزيقا خلوّا من المعنى، بالمقابل لا تنتقل المعاني من خلال النّتائج؛ فكلّ نتيجة استنباطيّة ليست تحصيلا حاصلا من عبارة يمكن التحقّق منها.

في حالة قبولنا أنّه لا يكون الشّيء ذو قيمة علميّة أو معرفيّة إلّا إذا كان قابلا للتّحقّق سيكون العلم مغلقا وكلّ شيء فيه بديهيّ وواضح، في المقابل عدم قبول مبدأ التحقّق واقتراح مبدأ التّكذيب ينجرّ عنه أنّ كلّ عبارة قابلة للتّكذيب تملك نتائج غير قابلة للتّكذيب، وغير تجريبيّة، و"ميتافيزيقيّة" بالمعنى المنطقي، وإذا قبلنا مرّة أخرى أنّ المعنى ينتقل استنباطيّا، ما سيبدو مجرّد تحييد وتضييق لنظريّة المعنى، فسيكون للنّظريّة التّجريبيّة نتائج ميتافيزيقيّة تحمل معنى بالضّرورة، هنا يثبت بوبر للوضعيّين المنطقيّين خاصّة شليك أنّه: لا يوجد أحكام تركيبيّة قبليّة سليمة، اللّهم تلك التي تحدّث عنها كانط بصفتها (حدسيّة أو مفهوميّة) موجودة في ذاتها.

وينتقد بوبر عقيدة الدّوجما في التّجريبيّة الإختزاليّة القائمة على أساس أنّ العلم مجموعة من المبادئ الملاحظة والموضوعيّة وما عدى ذلك مجرّد وهم. المهمّ أنّه لا مناص من القبلي والتّجريبي والوظيفة النّقديّة من وجهة نظر منطقيّة قبل كلّ شيء، لكن من الواجب الحديث عن فرضيّات قبليّة متعلّقة بالخيال التّجريبي المثمر للعالم الذي يجابه إشكالات بنشاط، وليس باعتماد مبادئ كليّة مسلّم بها قبليّا.

8- خاتمة:

يمكننا أن نقول بعد عرضنا لمجموعة الأفكار التي تضمّنها البحث على اختلاف توجّهات ممثّليها، ونقصد بالدرجة الأولى التّنظير الوضعي للعلم وكذا لواء العقلانيّة النّقديّة لتفسير المعطيات العيانيّة، أنّ العقلانيّة هي الخلاصة المشروعة للمعرفة بمفهومها الموضوعي، وذلك بديلا للاعتباطية التي أورثتها فلسفة الأنساق المغلقة خلال قرون طويلة من الزّمن، وهو ما استوجب إيجاد أرضيّة تكون بمثابة الّدعم الهادف لكلّ معرفة علميّة مقبلة، وما ظهور المعرفة العقلانيّة إلّا إجابة واضحة لهذا المسعى؛ حيث يتمظهر في أكثر من قضيّة إشكاليّة، وليس بنادر أن يكون سؤال التّمييز ذا قيمة عمليّة لنظام نظري، بالمقابل لا يلعب سؤال الخاصّة التّجريبيّة للقضايا الجزئيّة بالكاد أيّ دور في العمل على البحث العلمي، لأنّنا كثيرا ما نصطدم بأخطاء الملاحظة، ممّا يعني أنّنا نصطدم بقضايا جزئيّة، وهنا لابدّ من معالجة بعض الغموض كالعلاقة بين قضايا الأساس (ملاحظة الواقع) والخبرة الإدراكيّة، لكن لدينا إحساس بالمقابل أنّ القضايا لا يمكن تبريرها منطقيّا إلّا من خلال قضايا أخرى، نحن نصف هذه العلاقة على ضوء مجموعة من الألفاظ والعبارات الغامضة التي لا تشرح شيئا بقدر ما تخفي كلّ شيء.

من جهة أخرى وعلى ضوء العقلانية النّقديّة نستشفّ علاقة متعدّية تتضمّن العلوم الطبيعيّة والفلسفة والعلوم الاجتماعية، بحيث أن أي تغيير يحدث في تطوّر العلم الطبيعي كما لاحظنا في سياق البحث ينعكس مباشرة على الفلسفة والعلوم الاجتماعية والإنسانيّة، وهذا ما يؤكّد وحدة وجدليّة المعرفة الإنسانيّة، لهذا جاءت معظم النظريّات الاجتماعية والعلميّة المعاصرة بمثابة ثمرة التّمازج والتّعايش الخصب مع التيّارات الفلسفيّة المعاصرة، والتي كانت بمثابة ثورة منهجيّة تركت فيها فلسفة بوبر أثرا عميقا في العلوم الطبيعيّة والسوسيولوجيّا المعاصرة على حدّ سواء.

إذن فالمشكلة الرئيسيّة للإبستمولوجيا تتمثّل في نموّ المعرفة القائم على الإدراك العام، دون أن يؤثّر بشيء على نموّ المعرفة التكهنيّة، الأمر الذي يجعل من نموّها تعبيرا صريحا لمستوى المجتمع؛ فإذا كان الصّدق أو الإقتراب منه غاية إبستمولوجيا نظريّة المعنى فإنّ منطق المعرفة لابدّ أن يتطابق مع نظريّة المنهج العلمي المتّبع، كيف لا وأيّ نظريّة في

[1] Ibid, p 313.

التّحليل اللّغوي من شأنها أن ترفض رفضا قاطعا كلّا من الماهويّة والذرائعيّة والماديّة، كما أنّ رفض فكرة اللّاتعيّن جعلت من قضايا الإحتمال مجرّد ميل واستعداد، ورفض اللّاحتميّة جعل من الذّات عنصرا رئيسيّا في عمليّة إنتاج المفاهيم العلميّة وإنكار سؤال المصدر، ليبقى التّكذيب كعامل مركزيّ من شأنه تقويض الفكر الوضعي.

لا تعتبر العقلانية النقديّة الخطأ عيبا بقدر ما ترى فيه مصدرا للحقيقة، وفي المقابل ترفض أسبقيّة الحواس أو الحدس على حساب العقل، كما أنّ البحث عن المعرفة النّهائيّة بيت مهجور لأنّنا نحتاج إلى معيار يختار ويميّز النظريّات فيما بينها وليس إلى معرفة متوقّفة في نقطة معيّنة، من هنا تظهر أهمّية تطبيق العقلانيّة النقديّة في كلّ المبادئ والتخصّصات بحيث تصبح العلوم الإنسانيّة والعلوم الطبيعيّة عرضة للخطأ وبعيدة عن التحقّق، يخصّ تيّار المعنى إذن بالعقلانيّة كلّا من الفلسفة السياسيّة وفلسفة العلوم مع إقرار كلّي بجهلنا وقابليتنا للخطأ من جهة، وفتح أبواب الحوار والدّفاع عن وجهات النّظر المختلفة بغية تأسيس صحيح للمعرفة من جهة أخرى، وهو تأسيس تلعب فيه اللّغة دورا هامّا (صياغة المشكلات والنّقد المتبادل).

لقد شهد اتجاه ما بعد الوضعية في النّصف الثاني من القرن الماضي على يد مجموعة من الفلاسفة والعلماء تطوّر المعرفة العلميّة وفق مجموعة من الأطروحات:

- تتعلّق الأطروحة الأولى بمسألة الحقيقة Question de vérité وهي مسألة تأسيس العقلانية النقديّة انطلاقا من الموضوعيّة العلميّة، وبناء على فكرة منظّمة Idée régulatrice تتمثل في فكرة الاقتراب من الحقيقة Approximation de la vérité.
- يتبنّى العلم المعاصر الأطروحة الثانية والمتعلّقة بمشكلة الحقيقة في جانبها الميتافيزيقي حيث يوحّد مفاهيم وتصوّرات الإبستمولوجيا التطوريّة Epistémologie évolutionniste ويرى من خلالها أنّ المعرفة الإنسانيّة تتعارض مع مستويات المعرفة البيولوجيّة، بفضل ميزاتها النقديّة من جهة ولكونها في النّهاية مجرّد تعديل للتوقّعات البيولوجيّة من جهة أخرى.

قائمة المراجع:

1) كواين، من وجهة نظر منطقيّة تسع مقالات منطقيّة فلسفيّة، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، ط1. بيروت: المنظّمة العربيّة للتّرجمة. 2006
2) A.W.Richardson, Carnap's construction of the world, . Combridge: The Aufbou and the emergence of logical empirism : university press, 1998
3) Alain Budiou, Seconde manifeste pour la philosophie. Paris: Fayard, 2009.
4) Brian Mc Guinness, Wittgenstein et le cercle de vienne, d'après les mots de Friedrich Waisman. édition : T.E.R (Trans-Europ-Repress): Traduit par Gérard Granel. 1991.
5) Catherine Chevalley. « introduction », in Niel Bohr, physique atomique et connaissance humaine. Paris: Gallimard. 1991.
6) S. Laugier, Introduction, In S. Laugier. Paris: Vrin: Carnap et la construction logique du monde, 2001.
7) Edmund Husserl, sur la phénoménologie de la conscience intime du temps. France: Jérôme million: trad : Jean-François Pestureau, 2003.
8) G.Frege, La science justifie le retour à une idéographie, In écrits logiques et philosophiques. Paris: seuil: trad: C. Imbert, 1971.
9) J. Proust, Question de forme proposition Logique et analytique de Kant à Carnap, fayard, 1986.
10) Karl Popper, Les deux problèmes fondamentaux de la théorie de la connaissance, Paris: Hermann, 1999.
11) Kraft Victor, the vienna circle. The origine of neo-positivism. nex york: philosophical library, 1953.

12) Luce Fontaine-De visscher, Wittgenstein, le langage à la racine de la question philosophique. In Revue philosophique de lauvain, 4 série, tome 83, n° 60, 1985.
13) Max Blanc, initiation à la physique. Paris: Flammarion, 1941.
14) Michael Dummett, Philosophie de la logique, trad. Paris: Minuit: Fabrice Pataut, 1991.
15) Michael Dummett, Origins of Analytical philosophy. Cambridge, Mass: Harvard university press, 1996.
16) Pierre Duhem, La théorie physique, son objet et sa structure. Paris: Vrin, 2007.
17) Planck, Autobiographie scientifique et derniers écrits. Paris: Flammarion. s d.
18) Quine, From a logical point of view . Harvard university press, 1980.
19) Quine, les deux dogmes de l'empirisme. Paris : Gallimard: in De vienne à Cambridge, Trad : pierre Jacob, 1980.
20) Richard Rorty, Introduction. Métaphysical difficulties of linguistic philosophy, in R. Rorty, The linguistic turn. Recent Essays in philosophical méthod. Chicago and London: the university of Chicago press, 1967.
21) Russell, Ecris de logique philosophique. Paris: trad : J. M. Roy, : PUF. 1989.
22) Von-wright, Wittgenstein, trad. TER: Elisabeth Rigal. 1986.
23) Wittgenstein, investigation philosophique. Blackwell: oxford. 1958.
Xavier sabatier, Les formes du réalisme mathématique. Paris: Vrin. 2009.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

جودي عمران، (2020)، **إشكالية المعنى في الخطاب العلمي ،** مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية ، المجلد 12(01)/ 2020، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر، ص.ص 455-466.